مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

دوافع الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط"الجزائر" مابين" 1505 – 1518م "

الدكتورة الهام يوسف*

(تاريخ الإيداع 7 / 1 / 2018. قبل للنشر في 15 / 1 / 2018)

□ ملخّص □

وحّد زواج فرديناند الثاني ملك أراغون من إيزابيلا ملكة قشتالة سنة 1469م أسبانية المسيحية تحت تاج واحد ، وقد ترتب على هذا الاتحاد أن أصبحت أسبانية دولة أوروبية عظمى قوية في البر والبحر، وقد حققت الملكية الأسبانية في عام 1492م نجاحاً كبيراً، حيث سقطت غرناطة في بيدهم،أخر مملكة للمسلمين في الأندلس، كما شهد هذا العام خروج الملاح كريستوف كولومبس من أسبانية مبحرا في المحيط الأطلسي باتجاه الغرب للوصول إلى الهند حيث منابع التجارة التي يحتكرها التجار المسلمون وتمر بأرض المسلمين في طريقها إلى أوروبة، ومع بداية القرن السادس عشر بدأ الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط مدفوعين بدوافع دينية وإستراتيجية وللقضاء على القرصنة، وقد ساعدهم على تحقيق هدفهم تفكك المغرب الأوسط وضعفه.

الكلمات المفتاحية : أسبانية ـ المغرب الأوسط ـ شمال أفريقية ـ قشتالة ـ الأراغون ـ القرصنة

* أستاذ مساعد – قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

The Motives of the Spanish Occupation of the Middle Maghreb, 'Algeria'1505-1518

Dr. Ilham Youssef*

(Received 7 / 1 / 2018. Accepted 15 / 1 / 2018)

□ ABSTRACT □

The marriage of Ferdinand II, King of Aragon, and Isabella, Queen of Castile, in 1469, did unify the Christian Spain under the same crown. It followed this arrangement that Spain became a super European state strong on land and in the sea. The new monarchy scored, in 1492, great success. Granada, the last Moslem State, in Al Andalusia, fell to the new Monarchy. The same year witnessed the departure of Christopher Columbus sailed in Atlantic sea heading westward to reach India, where sources of trade where in the hands of Moslem merchants crossing Moslem territories towards Europe. With the advent of 16th century, stimulated by strategic and religious motives, the Spaniards started their occupation of Middle Maghreb with the aim to subdue piracy. The disintegration and weakness of the region helped them to materialize their aim.

Key Words: Spain, Middle Maghreb **,** North Africa , Castile , Aragon**,** piracy.

***Associate Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة

شهد النصف الثاني من القرن الخامس عشر، العديد من الأحداث التي زادت من حدة الصراع الإسلامي- المسيحي وانعكست سلباً على المغرب الأوسط، واتخذت من أرضه ساحة لهذا الصراع، منها سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين سنة 1453م، التي سببت صدمة لأوروبة، فبدأت الدعوات لحرب صليبية، بالإضافة إلي قيام الوحدة الأسبانية، بين مملكتي أراغون وقشتالة، وترتب على هذا الاتحاد أن أصبحت أسبانية دولة أوروبية عظمى قوية في البر والبحر، استطاعت المشاركة بالكشوف الجغرافية.

على الرغم من أن الوحدة الأسبانية أمدّت أسبانية بالقوة، إلا أنها لم تدمج المملكتين معا، فقد ظل لقب ملوك أسبانية موجوداً، ولم يكن فرديناند ملكاً على قشتالة إلا بوصفه زوج إيزابيلا، فحدث بعض الاختلاف في السياسة الخارجية داخل الأسرة الملكية الحاكمة، بين فرديناند وإيزابيلا، حيث تمركز اهتمام فرديناند بالشرق الأوروبي حفاظاً على نفوذه بإيطالية، خاصة وأن أسبانية تعتمد على قمح إيطالية وصقلية، في حين أن إيزابيلا كانت تتطلع إلى ملاحقة المسلمين في شمال أفريقية، فقوة أسبانية الموحدة مكّنتها من توزيع اهتماماتها الخارجية في أكثر من ميدان، في أمريكة وشمال أفريقية وإيطالية وفي القارة الأوروبية، مما جعل السياسة الخارجية لأسبانية في المغرب الأوسط تفتقر للتركيز.

أهمية البحث وأهدافه:

هذا البحث يلقي الضوء على دوافع الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط، في محاولة متواضعة لكشف زيف الادعاءات التي تربط القرصنة بالمسلمين وحدهم في شمال أفريقية، كما يهدف إلى الخوض في أسباب تخبط السياسة الأسبانية في شمال افريقية، والاكتفاء باحتلال بعض النقاط على الساحل، كما يهدف تفسير أسباب غياب المنافسة البرتغالية في المغرب الأوسط .

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي القائم على جمع المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث، ثم تصنيف المعلومات التي تم الحصول عليها منها، بحيث تم فرز الوقائع المتعلقة بكل حدث بشكل منفرد، ومن ثم تحليل هذه الوقائع ، وإخضاعها للنقد التاريخي ، من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية، ثم إعادة تركيب هذه الحقائق بشكل منطقي، وأخيرا إنشاء البحث وصياغته بلغة سهلة واضحة.

النتائج والمناقشة:

الوضع في أسبانية عشية الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط "الجزائر"

حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كانت أسبانية[1] مقسمة إلى مقاطعات يحكم كل منها ملك مستقل، فكانت هناك نافار[2] وأراغون[3] وقشتالة[4]، ثم البرتغال، وفي الجنوب كانت توجد الأملاك العربية[5]، التي اقتصرت على

[1] أسبانية أو شبه الجزيرة الايبيرية، ويسميها العرب بالجزيرة أيضا، تقع في الجنوب الغربي من أوروبة، وتسد البحر الأبيض المتوسط من الغرب حاجزة بينة وبين المحيط الأطلسي. انظر: مصطفى، شاكر. *الأندلس في التاريخ*. منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص6.

[2] نافار منطقة تقع في شمال أسبانية. انظر: منطقة نافرا https :// ar. Wikipedia . org/wiki/

[3] أراغون: تقع في شمال شرق أسبانية، عاصمتها سرقسطة. انظر: منطقة أرغون https :// ar. Wikipedia . org/wiki/

مملكة غرناطة وملوكها بنو الأحمر [6]، وفي الوقت الذي كان يتقلص فيه الوجود الإسلامي بالأندلس [7]، كان يتسع فيه نفوذ ومُلك الأسبان حتى أصبحت غرناطة محاطة بممالك مسيحية معادية تتربص بها[8].

وكانت قشتالة بحكم موقعها الجغرافي تتجه نحو المحيط الأطلسي، وبحكم دورها في الصراع مع المسلمين تهتم بما يجري في المغرب، أما مملكة أراغون فقد كانت بحكم امتلاكها جزر البليار [9]وصقلية[10] وسردينية[11] ولوجود أحد أفراد أسرة أراغون على رأس مملكة نابولي [12]، تتجه نحو المتوسط، وكانت سياستها تهدف إلى تأمين طريق بحري آمن بين إشبيلية[13] وصقلية الغنية بالحبوب، وكان لابد لها لتحقيق ذلك من نقاط ارتكاز على سواحل شمال أفريقية[14].

بدأ عهد جديد لأسبانية المسيحية عندما اتحدت مملكتي أراغون وقشتالة بزواج فرديناند الثاني ملك أراغون من إيزابيلا ملكة قشتالة سنة 1469م[15] بعد أن كانتا في منازعات حروب مستمرة، وقد وحّد هذا الزواج أسبانية المسيحية

---

[4] قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس، قصبته طليطلة. انظر: الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، 1977، ج4، ص352.

[5] عمر، عبد العزيز عمر. *التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث* . دار المعرفة الجامعية ، 2000 ، القسم الأول، ص65.

[6] مملكة غرناطة (1233–1492م) تأسست على يد محمد الأول الغالب بالله بن يوسف بن أحمد بن نصر المعروف باسم ابن الأحمر بعد معركة العقاب وسقوط دولة الموحدين، وبنو نصر كانوا يقيمون في أرغونة، وهم من سلالة سعد بن عبادة زعيم الخزرج، وقد استولى محمد الأول على غرناطة سنة 1237 م وشيد فيها قلعة أطلق عليها اسم الحمراء واتخذها قصرا له، استمرت مملكة غرناطة أكثر من قرنين ونصف، وكانت الأرض الوحيدة في شبه الجزيرة الأيبيرية التي تخضع لسلطان مسلم على الرغم من الأجزاء المتتالية التي اقتطعت منها. انظر: كولان، ج .س . *الأندلس*. ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1980، ص138/ مصطفى، مرجع سابق، 1990، ص129.

[7] الأندلس: تسمية أطلقها العرب على شبه الجزيرة الأيبيرية كلها عندما فتحوها، وعنوا بها ما كان تحت حكمهم ، واقتصرت التسمية في أخر عهدهم على مملكة غرناطة بمقاطعاتها الثلاث: مالقة وغرناطة والمرية، حتى سقطت بأيدي الاسبان سنة 1492م. انظر: حتاملة، محمد عبده. *موسوعة الديار الأندلسية* . الجامعة الأردني، عمان، 1999،ج1، ص145./ كولان، مرجع سابق، ص58 وص59.

[8] الشيخ، رأفت . *تاريخ العرب الشيخ*. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1994، ص368.

[9] جزر البليار: مجموعة من الجزر يزيد عددها على المائة، تشكل أرخبيلا في غربي البحر المتوسط في مواجهة السواحل الشمالية للأندلس، أكبرها خمس ميورقة ومنورقة ويايسة و فرمنتيرة وقبريرة، وتتميز هذه الجزائر بموقع استراتيجي هام بين سواحل شرق أسبانية، وجنوب فرنسة، وغرب إيطالية، وسواحل المغرب الشمالية. انظر: حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ج 1، ص366.

[10] صقلية: أكبر جزيرة في البحر المتوسط،، تقع جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، تقسم البحر المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي، وهي مثلثة الشكل انظر: الحموي، مصدر سابق، ج3، ص416.صقلية / https:/www.marefa.org

[11] سردينية:أو سردانية، ثاني أكبر جزيرة في البحر المتوسط بعد صقلية وأقريطش"كريت". انظر: الحموي، مصدر سابق، ج 3، ص209.

[12] مملكة نابولي في ايطالية، وكانت كانت إيطالية مقسمة إلى عدة دويلات، الدولة الكبرى شمال شرق إيطالية وهي البندقية ، وفي جنوب إيطالية ملكية نابولي، وتوسكانا "فلورنسة"، أما ممتلكات البابا فكانت في وسط شبه الجزيرة الإيطالية ودوقية ميلاو "لومبارديا" وكانت كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى. انظر: أوزتونا ، يلماز، *تاريخ الدولة العثمانية* ، ترجمة عدنان سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول ، 1988، ج1 ، ص 174 وص 175.

[13] إشبيلية: مدينة كبيرة بالأندلس، تقع على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب الغربي من قرطبة. انظر: الحموي، مصدر سابق، ج 1، ص195/ حتاملة، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، ج 1، ص70.

[14] فارس، محمد خير، *تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي*، د.م، د.ت، ص14.

[15] SHAW, S . *History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey* . Cambridge University Press , 1997,p.96.

تحت تاج واحد وسُميت مملكتهم أسبانية [16]، وقد ترتب على هذا الاتحاد أن أصبحت أسبانية دولة أوروبية عظمى قوية في البر والبحر، وسمت إلى مكانة من التفوق والمهابة في العالم استمرت إلى نهاية القرن السادس عشر، خاصة وأن مملكة الأراغون كانت قد استولت على ممالك في جزر البليار وصقلية ونابولي[17].

حققت الملكية الأسبانية في عام 1492م نجاحا كبيرا عندما سقطت غرناطة في يد المسيحيين، وفر أخر ملوكها إلى المغرب، والواقع أن المسلمين هم الذين عجّلوا بقرب نهايتهم في أسبانية حين انشغلوا بمعاركهم الداخلية حول ولاية الحكم [18]، كما شهد هذا العام خروج الملاح كريستوف كولومبس من أسبانية مبحرا في المحيط الأطلسي باتجاه الغرب للوصول إلى الهند حيث منابع التجارة التي يحتكرها التجار المسلمون وتمر بأرض المسلمين في طريقها إلى أوروبة، وكانت رحلات كولومبس قد كشفت أرضا جديدة عرفت فيما بعد باسم أمريكا، وكان لذلك أثره في اهتمام أسبانية بقوتها البحرية حيث اعتنت الحكومة الأسبانية ببناء الأساطيل وتعزيزها بالرجال الذين لهم دراية بالحرب، ومن ثم أخذت البحرية الأسبانية تخرج من ثغور أسبانية الشرقية والجنوبية لتقطع الطريق على مراكب المسلمين التجارية[19].

تركّز التدخل الإسباني في المغربين الأوسط والأدنى، وذلك بعد معاهدة تور دسيلاس [20] في 7حزيران عام 1494م التي عقدت بين أسبانية والبرتغال برعاية البابا، لحل المشكلات التي كادت تؤدي إلى الاصطدام بين الدولتين في ميدان الكشوف الاستعمارية أن يتولى الأسبان مهمة حرب الاسترداد [21]، وهو ما أطلق في ذلك الوقت على هذه الحرب الصليبية ضد المسلمين في شمال أفريقية، في المناطق الواقعة شرقي حجر باديس بينما يكون من نصيب البرتغال المناطق الواقعة غربي هذه المنطقة[22].

على الرغم من أن الوحدة الأسبانية أمدّت أسبانية بالقوة، فقد هيأ زواج فرديناند ملك أراغون بإيزابيلا ملكة قشتالة وحدة أسبانية، إلا أن هذا الزواج لم يدمج المملكتين معا، فقد ظل لقب ملوك أسبانية موجودا، ولم يكن فرديناند ملكا على قشتالة إلا بوصفه زوج ايزابيلا، وكانت صور الاثنين تظهر على العملة والأسلحة والرايات [23]. وظهر بعض الاختلاف داخل الأسرة الملكية الحاكمة، على السياسة الخارجية، حيث تركز اهتمام فرديناند بالشرق الأوروبي حفاظا

---

[16] الزياني، محمد بن يوسف، *دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران* ، تحقيق مهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، 183.

[17] فيشر، هربرت، *أصول التاريخ الأوروبي الحديث* ، ترجمة زينب عصمت راشد، ط3، دار المعارف بمصر، 2001، ص74و ص75.

[18] بوزورث، كليفورد، *الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي* ، ط2، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1995، ص44.

[19] رأفت، مرجع سابق، ص 370 وص 371/ الجمل، شوقي عطا الله، *المغرب العربي الكبير في العصر الحديث* ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1977، ص77.

[20] تور ديسلاس: مدينة أسبانية تقع في مقاطعة بلد الوليد بمنطقة قشتالة. انظر: معاهدة تور دسيلاس/ . https :// ar. Wikipedia . org/wiki/

[21] حروب الاسترداد: من الكلمة الأسبانية Reconquista وتعني الاسترداد، للإشارة إلى الفترة التي تمتد مابين (718-1492) أي مابين ثورة بيلاو وسقوط مملكة غرناطة، وتمتاز هذه الفترة بتواجد ممالك مسيحية وإسلامية على شبه الجزيرة الأيبيرية . انظر: حروب الاسترداد / https:/www.marefa.org

[22] فيشر، مرجع سابق ، ص 78/ دغموش، كاملية، *قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)*، جامعة وهران، 2013-2014، ص29.

[23] فارس، مرجع سابق، ص14 وص15.

على نفوذه بإيطالية، خاصة وأن أسبانية كانت تعتمد على قمح إيطالية وصقلية، في حين أن إيزابيلا كانت تتطلع إلى خارج شبه الجزيرة الأيبيرية بهدف ملاحقة المسلمين في شمال أفريقية[24].

وقد خاضت أسبانية الموحدة حربا شرسة مع فرنسة عُرفت باسم الحروب الايطالية، والتي استمرت أكثر من نصف قرن، وتعتبر الحروب الايطالية التي نشبت بين فرنسة وأسبانية فيما بين عامي 1494 – 1559م مظهرا من مظاهر التنافس الدولي بين هاتين الدولتين من أجل السيطرة والنفوذ في أوروبة، والرغبة في التوسع الإقليمي داخل القارة، كانت شبه الجزيرة الإيطالية ميدانا لتصارع الدولتين خلال المراحل الأولى من مراحل الحرب، غير أنها تطورت بعد ذلك إلى صراع أوروبي اتسع نطاقه وانتقل إلى ميادين متعددة خارج شبه الجزيرة الايطالية[25].

ومنذ مطلع القرن السادس عشر توزعت مشاغل اسبانية الخارجية بين أكثر من ميدان: في أمريكة وشمال أفريقية وإيطالية، ثم في القارة الأوروبية بعد تسلم ملك إسبانية شارل، حفيد فرديناند وإيزابيل، تاج الإمبراطورية الجرمانية المقدسة، باسم شارلكان، لذلك كان عمل اسبانية وسياستها الخارجية يفتقران إلى التركيز، وهذا ما يفسر نشاط السياسة الاسبانية في شمال أفريقية أو فتور هذا النشاط، أو يفسر إن صح التعبير تخبط السياسة الإسبانية الأفريقية [26].

بدأ الاحتلال الأسباني للمغرب الأوسط باحتلال ميناء المرسى الكبير سنة 1505م، ثم وهران سنة 1509م و بجاية سنة 1511م ، وإثر هذه العمليات ، أصبحت أسبانية سيدة الموقف دون منازع، فيما بين بجاية شرقا ووهران غربا [27]. أما بقية الموانئ الجزائرية وأهمها دلس وشرشال ومستغانم فقد قبلت دفع الجزية والتخلي عن نشاط القرصنة وذلك لتتفادى النهاية المماثلة، وفي سنة 1511 وقعت مدينة الجزائر بدورها اتفاقية الاعتراف بالسيادة الأسبانية [28]، وهكذا تمكن الأسبان من إنشاء محطات عسكرية على طول الساحل الشمالي للمغرب الأوسط، واتخذوها جيوبا صليبية[29]

لم يحاول الأسبان التوغل المسلح في داخل البلاد، لأنهم كانوا يرون وجوب إخضاع المغرب العربي الأوسط على مرحلتين:المرحلة الأولى احتلال المدن الساحلية، وحصر المسلمين داخل البلاد، والمرحلة الثانية تأتي بعد ذلك، وهي الزحف من المراكز الساحلية المحصنة على البلاد الداخلية إخضاعها، وقد نجحوا في تنفيذ مرحلتهم الأولى، أما مرحلتهم الثانية فقد حال المسلمون بينهم وبين تنفيذها كما يريدون، وذلك بقدوم الحكم العثماني[30].

دوافع الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط

1– ضعف وتفكك المغرب الأوسط" الجزائر"

لم يعرف الكتاب العرب، خلال هذه المرحلة الزمنية التي يتناولها البحث، التقسيم التقليدي الذي يجعل من المغرب العربي ثلاث أو أربع وحدات سياسية منفصلة، وإنما كانوا يطلقون اسم المغرب الأقصى ويقصدون به مراكش، والمغرب الأوسط ويقصدون به الجزائر، ويسمون القسم الشرقي منه بتونس أو افريقية، ولم تتحدد بالضبط مفاهيم هذه

---

[24] دغموش، مرجع سابق، ص29.

[25] عمر، مرجع سابق، القسم الأول، ص84.

[26] فارس، مرجع سابق، ص 15.

[27] فارس، مرجع سابق، ص20.

[28] سبنسر، وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص35.

[29] طقوش، سهيل. *تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة* . ط3، دار النفائس، بيروت، 2012، ص 218.

[30] المدني، أحمد توفيق. *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانية 1492–1792*. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت ، ص113 وص 114.

الأسماء من الناحية الجغرافية، بسبب عدم وجود حواجز طبيعية تميز بين حدود كل من تونس والجزائر والمغرب [31]، وهكذا ينطبق مفهوم شمال أفريقية مع مفهوم المغرب العربي أو الإسلامي.

شهدت أفريقية الشمالية قيام دول كبيرة إبان العصور الوسطى، مثل دول المرابطين[32] والموحدين[33]، وتمتعت في ظل هذه الدول بالوحدة السياسية، وقد حدث في بعض الأحيان أن دخلت الأندلس مع المغرب تحت حكم دولة واحدة.

أدى ضعف دولة الموحدين في القرن الثالث عشر إلى تمزق الإمبراطورية الشاسعة الأطراف التي كانوا يبسطون نفوذهم عليها، فسقطت بلاد الأندلس بيد الأسبان، باستثناء غرناطة التي استقلت تحت حكم بني الأحمر، وبدأت سمات الانقسام بين أجزاء "أفريقية الشمالية" أو "المغرب العربي" وحلت محلها بالتدريج ثلاث دول: دولة الحفصيين[34] في تونس وبني عبد الواد في المغرب الأوسط" وبنو مرين [35] في المغرب الأقصى [36]. وقد تنافست هذه الدول فيما بينها على السلطة والحكم، كما شهدت صراعات داخلية– عائلية وقبلية– على السلطة[37].

ظهرت دولة بني عبد الواد في منتصف القرن الثالث عشر، واتخذت من تلمسان حاضرة لها، وقد أسس هذه الدولة يغمراسن بن زياد[38]، وهو من أصل بربري، وقد ازدهرت تلمسان في ظل دولة عبد الواد كمركز ثقافي، ولم تحكم سوى الجزء الغربي مما يقابل الجزائر حاليا، وطمع كل من الحفصيين وبني مرين في الاستيلاء عليها، ودخل المرينيون فعلا تلمسان في منتصف القرن الرابع عشر، إلى أن أحيا الدولة أبو حمو الثاني سنة 1359–1389م وأصبحت الدولة تعرف باسم الفرع الجديد وهو بنو زيان، ومع أن تلمسان كانت تعتبر في ذلك الوقت حاضرة المغرب الأوسط، إلا أن المدن الساحلية كانت تكوّن جمهوريات مستقلة أشبه بالجمهوريات القائمة على الساحل المواجه في إيطالية[39].

في نهاية القرن الخامس عشر، عندما تعرضت المغرب الأوسط للاحتلال الاسباني، كانت الدول الثلاث الحاكمة في الشمال الأفريقي في حالة ضعف شديد، أنهكتها الحروب الداخلية، واستنزفت طاقاتها المالية والمعنوية النزاعات الداخلية والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة، وصارت أقطار الشمال

---

[31] العقاد، صلاح ، *المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر* ، ط6 ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص9.

[32] المرابطون حكموا مابين (448–541هـ/ 1056–1147) أسس هذه الدولة يوسف بن تاشفين معتمدا على قبائل لمتونة الصنهاجية. الجمل، مرجع سابق، ص18.

[33] الموحدون حكموا مابين (524–667هـ/ 1130–1269م) أسس هذه الدولة محمد بن تومرت . انظر: الجمل، مرجع سابق، ص 21.

[34] الدولة الحفصية حكمت مابين (1229–1536) ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني، وهو من خاصة ابن تومرت وأحد مريديه، ويرجع نسبه إلى قبيلة هنتانة، وهي قبيلة بربرية عظيمة تلتحق بالمصامدة أكبر قبائل المغرب الأقصى. مقديش، محمود، *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار* ، تحقيق علي الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص541 / الجمل، مرجع سابق، ص26.

[35] الدولة المرينية : حكمت مابين وبنو مرين أو بنو عبد الحق، ، سلالة حكمت المغرب الأقصى من القرن 13 إلى القرن 15م، توسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب الأقصى، وتمكنوا في عهد أبي الحسن المريني من ضم المغرب الأوسط والأدنى لدولته، فوحد المغرب تحت لوائه. انظر: الدولة المرينية https :// ar. Wikipedia . org/wiki/

[36] شاكر ، محمود ، *التاريخ الإسلامي* ، ط4، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 2000 ، ج8، ص510/ العقاد، مرجع سابق، ص10.

[37] غلاب، عبد الكريم، *قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ج2، ص333.

[38] للمزيد عن الدولة الزيانية انظر: مقديش، مصدر سابق، ج1، ص533–536.

[39] العقاد، مرجع سابق، ص11وص12.

الأفريقي، ولاسيما المغرب الأوسط، فسيفساء سياسية يتعذر تحديدها، وكانت مجزأة إلى خمسة عشرة كيانا تهمين عليها القبائل[40].

وهكذا فإن الأوضاع الداخلية لدويلات الشمال الأفريقي، وعلى رأسها المغرب الأوسط، شجعت المطامع الأسبانية للبدء بالهجوم، ونستشهد هنا بما كتبه سكرتير ملك إسبانيا عام 1495 إذ قال وقد كتب سكرتير ملك أسبانية عام 1495م إن البلاد، يقصد شمال أفريقية ، في حالة يبدو وكأن الله يريد أن يمنحها لجلالتكم[41].

2-دوافع دينية

أدخلت أحداث القرن الخامس عشر أفريقيا الشمالية في إطار السياسة الأوروبية مدة طويلة استغرقت عشرات السنين، فالعالم الكاثوليكي اهتز لسقوط القسطنطينية في عام 1453م بيد السلطان محمد الفاتح، وأصابه الخوف من الفتوحات التي قام بها في البلقان، ولولا العناية الإلهية لسقطت روما بيد العثمانيين، خاصة وأن السلطان محمد الفاتح السلطان كان قد عزم على فتح جميع بلاد إيطالية، وأنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما[42] وبدأ بتنفيذ قراره فأرسل حملة سنة 1480م استطاعت فتح أوترانتو [43] وكان فتح أوترانتو يمثل رأس جسر لفتح إيطالية، وقد استعدّ البابا لمغادرة روما واللجوء لفرنسة [44]وفي الوقت الذي كان فيه السلطان العثماني يعدّ العدّة لمدّ الفتوحات العثمانية داخل إيطالية، وصلت الأنباء بوفاته [45]، وهكذا انسحب الجيش من أوترانتو ولم يلتفت أي من السلاطين الذين تلوه لخطّة فتح إيطالية [46]، تلك الفتوح التي زادت من حدة التناقض السياسي والديني بين الشرق والغرب، وأصبحت تهدد أوروبة المسيحية [47]، لذلك لم تتوان سلطات روما عن الدعوة بإلحاح إلى تنظيم حملة صليبية جديدة، وقد استقبلت تلك الدعوات بأصداء إيجابية واسعة في بلدان أوروبة الكاثوليكية، لاسيما في أوساط طبقة النبلاء خاصة[48].

---

[40] فارس، مرجع سابق، ص 15/ دغموش، مرجع سابق، ص 22و ص23/ بوحوش، عمار، *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص49.

[41] نمير، عقيل لطف الله، *تاريخ الجزائر الحديث*، منشورات جامعة دمشق، 2013-2014، ص36 / فارس، مرجع سابق، ص16.

[42] انظر: فريد بك المحامي، محمد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق إحسان حقي،ط1، دار النفائس،بيروت،1981، ص176.

[43] أوترانتو: أو أوترانت، مدينة بجرية جنوبي إيطالية، تقع في إقليم يعرق بهذا الإسم، وعلى مقربة من مضيق أوترانتو الذي يصل البحر الأدرياتيكي والبحر الأيوني ويفصل إيطالية عن ألبانية، وإقليم أوترانتو يشكل كعب الحذاء الإيطالي. انظر: الشناوي، عبد العزيز: *الدولة العثمانية- دولة إسلامية مفترى عليها* ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1980،ج1، ص 47/ أوترانتو / www.marefa.org/index.php

[44] اينالجيك ، خليل ، *تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار* ، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، 48.

[45] محمود ، سيد محمد السيد ، *الدولة العثمانية : النشأة والازدهار* ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2007 ، ص 211. من الممكن أن وفاة الفاتح أنقذت إيطالية ، ومن الصعب التنبؤ بما كان يمكن أن يحدث لو امتد به العمر عاما آخر، فقد كان من الممكن لاحتلال أوترانتو أن يستتبع بدخول روما ، ومن ثم يمكن القول أن وفاة الفاتح أنقذت أروبة. انظر : الوذيناني ، خلف بن دبلان بن خضر، *الفتح العثماني لجزيرة رودس 929هـ/1523م* ، جامعة أم القرى ، 1418 ، ص 26.

[46] أوزتونا، مرجع سابق ، ج1 ، ص 185.

[47] روسّي، إتّوري، *ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911*، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط2، لدار العربية للكتاب، 1991، ص167.

[48] إيفانوف، نيقولاي، *الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574*، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، 1988، ص31.

اتسمت الحملات الأسبانية في الشمال الأفريقي، بالسمة الصليبية، وكانت هذه الحملات جزء من الخطة الصليبية العامة لتطويق بلاد الإسلام وانتزاع الأراضي المسيحية المقدسة في فلسطين [49]. ولم يكن الهدف منها التوسع الإقليمي وامتداد النفوذ السياسي فحسب، وإنما كانت تهدف للتبشير بالدين المسيحي، ومحاولة نشره في البلدان التي يضع الأسبان عليها أيديهم، ومحاربة الأديان الأخرى بجميع الوسائل اعتقادا منهم أن في ذلك ما يوطّد دعائم ملكهم ويبعدهم عن التعرّض للانقلابات والثورات [50].

ولم تكن هذه الحروب أقل ضراوة مما دار من حروب في الشرق بين المسلمين وبين الذين جاؤوا متخفين وراء صليب المسيحيين من الأوروبيين، وهكذا يمكن أن نقول إن موجة الحروب الصليبية التي هدأت وطأتها في الشرق بدأت تظهر آثارها بالمغرب بعنف وإصرار لا يقلان عما كانت عليه في أوج قوتها في الشرق[51].

لم تقتصر آثار الصراع بين المسلمين والمسيحيين على شبه جزيرة أيبيرية فقط، بل امتدت آثاره إلى شمال أفريقية، فالحرب مع المسلمين ساعدت على ظهور الروح القومية في أسبانية، وقد ارتدت هذه الحرب طابع الحرب الصليبية، مما وسم الروح القومية الأسبانية والسياسة الخارجية الأسبانية إزاء شمال أفريقية بطابع التعصب الديني، وكان تدخل الأسبان في شمال أفريقية امتدادا للحرب مع المسلمين، تلك الحرب التي يطلق عليها الأسبان اسم حرب الاسترداد. ولم تكن شمال أفريقية في نظر الأسبان نقطة الوثوب لاحتلال أسبانية فقط، في القرن 8م، وإنما كانت أيضا السند العسكري القوي الذي آخّر عملية الاسترداد عدة قرون بالرغم مما كان عليه مسلمو أسبانية من ضعف وتمزق، لذلك حمّل مسيحيو الأندلس شمال أفريقية تبعة الغزو الإسلامي لبلادهم ودعم هذا الغزو، كما صبّوا نار غضبهم على المسلمين في أسبانية[52].

ويظهر الطابع الديني للتدخل الأسباني في المغرب العربي في وصية الملكة إيزابيلا لابنتها قبيل وفاتها في سنة 1504م، قالت بها إني أرجو الأميرة ابنتي جين والأمير زوجها فيليب وآمرهما بإطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة طاعة تامة، وأن يكونا حماتها والمدافعين عنها حسبما يقتضي واجبهما، وألا يكفا عن متابعة فتح شمال إفريقية ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان [53]، كما أن الملك فرديناند توفي سنة 1516 م وهو يوصي أولاده "عليكم أن تعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية"[54].

كما كان التعصب الديني وراء اختيار فرديناند وإيزابيلا لقب الملكين الكاثوليكيين، وهذا يفسر مدى التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين، وإبعاد حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الأيبيرية، وكان وراء التحرشات الأسبانية والبرتغالية على سواحل شمال أفريقية، في إطار الحرب الصليبية المقدسة، التي كان يغذيها رجال الكنيسة الكاثوليكية[55].

---

[49] عبد الكريم، أحمد عزت، *دراسات في تاريخ العرب الحديث*، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، 285.

[50] الباروني، عمر محمد، *الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس*، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952، ص5.

[51] الجمل، مرجع سابق، ص42.

[52] فارس، مرجع سابق، ص13/ الجمل، مرجع سابق، ص 41 ص42.

[53] العقاد، مرجع سابق، ص15/ نمير، مرجع سابق، ص35.

[54] حتاملة، محمد عبده، *التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474-1516)*، ط 1، الجامعة الأردنية، عمان، 1980، ص114.

[55] دغموش، مرجع سابق، ص29.

ولعب المتعصبون من رجال الدين الأسبان، وعلى رأسهم الكاردينال خيمينيس، أسقف طليطلة، ورأس الكنيسة الأسبانية، ورئيس وزراء فرديناند الكاثوليكي دورا بارزا في إعداد الحملات الأسبانية وتوجيهها [56]، فقد خشي الكاردينال خيمينيس، أن يكون سقوط غرناطة وفرار فلول العرب والمسلمين من الأندلس، إيذانا بتوقف الحرب ضد العرب والمسلمين، لذلك أثار مخاوف الملكة إيزابيلا، التي كان يعرف أنها أشد تعصبا من الملك فرديناند، من المسلمين الذين فروا إلى سواحل شمال أفريقية[57]، وأقنعها بنقل الحرب ضد المسلمين من الأندلس إلى شواطئ شمال أفريقية، بحجة أن العرب والمسلمين لا يعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية، بل تظاهروا فقط بالهزيمة في انتظار الفرصة المناسبة لينقضّوا من جديد على الأندلس، ويشهروا الحرب مرة أخرى على المسيحية، وأنه لابد من القضاء على أوكار القراصنة المسلمين في الشمال الأفريقي[58].

كما أن الحملات الأسبانية لها أسباب دينية، فإن الرد عليها له أسباب دينية، فقد نشطت القرصنة" والقرصنة هي بالنسبة للمسلمين جهاد إسلامي، فبعد سقوط غرناطة، بادرت الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرديناند بخرق المواثيق والعهود التي أعطيت للمسلمين، وعندما شكا المسلمون الذين بقوا بالأندلس، خرق تلك العهود، ردا بتتبع المشتكين، وبدأ الاضطهاد الديني ينصب على المسلمين [59]، فقامت ثورة جبال البشارات [60]سنة 1501م وبعد قمعها، تخيّر المشاركون فيها من أهل غرناطة بين التنصير والنفي، فاختارت الأغلبية الهجرة إلى شمالي أفريقية[61]، لكن الهجرة من الأندلس إلى شواطئ المغرب العربي لم يكن يقدر عليها إلا الذين يملكون من المال ما يمكنهم من عبور البحر واستئجار السفن لشراء ذمم الأسبان المكلفين بمراقبتهم، ونقل المهاجرون أنباء الاضطهاد الديني إلى إخوانهم في شمال أفريقية، وبدأت حملات التضامن تنظم في المغرب العربي لإنقاذ من بقي بالأندلس من العرب المسلمين، فتسللات المسلمين إلى موانئ وشواطئ الأندلس كانت تهدف إلى تخليص المسلمين الذين بقوا هناك من براثن الاضطهاد الديني[62]. وبالتالي فالقرصنة في نظر المسلمين هي جهاد بحري ضد الصليبيين، تأخذ بعدا إنسانيا هدفه إنقاذ آلاف المسلمين الفارين من أسبانيا بعدما زحفوا من شمالها إلى جنوبها وتطلعهم نحو الإسلام المجاور، فقد كانوا في حالة ثورات مستمرة بمساندة إخوانهم من شمال أفريقية[63].

إلا أن ثورة المسلمين في غرناطة عام1501م وهجمات القراصنة المسلمين على الجزر والسواحل الأسبانية ربيع 1505م زوّد المتعصبين الأسبان بالحجج اللازمة، ولاسيما وأن نشاط القرصنة هذا كان يشجعه ويسهم فيه مسلمو الأندلس المطرودون أو المهاجرون من أسبانية "الموريسكوس"[64].

---

[56] روسي، مرجع سابق، ص168/عنان، محمد عبد الله، *دولة الإسلام في الأندلس* ، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص314 / نمير، مرجع سابق، ص35.

[57] الميلي، مبارك بن محمد الهلالي، *تاريخ الجزائر في القديم الحديث* ، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج3، ص19.

[58] الميلي، مرجع سابق، ج3، ص20/ نمير، مرجع سابق، ص37.

[59] المرجع نفسه، ج3 ص21 وص22.

[60] ثورة قام بها الوريسكوس في منطقة البشارات. و البشارات سلسلة جبال إلى الجنوب الشرقي من غرناطة. انظر: حتاملة، *موسوعة الديار الأندلسية*، مرجع سابق ،ج1، ص255/ حتاملة، التنصير القصري لمسلمي الأندلس، ص81.

[61] دكاني، نجيب، *الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية* ، جامعة الجزائر، 2002، ص21وص22.

[62] الميلي ، مرجع سابق، ج3 ص21 وص22/ فارس، مرجع سابق، ص17/ نمير، مرجع سابق، ص35 وص36.

[63] دكاني، مرجع سابق، ص21وص22.

[64] SHAW,S. *History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey* . Cambridge University Press , 1997,p.96.

3-دوافع سياسية وإستراتيجية:

اشتملت خطة الأسبان والبرتغاليين على تطويق أقاليم المغرب الإسلامي، باحتلال موانيه المطلة على البحر المتوسط، واحتلال أقاليم افريقية السوداء الواقعة جنوبه، إن لم تتمكن الدول الكاثوليكية من احتلال المغرب العربي نفسه ، وتحويله إلى المسيحية [65].

إن ملوك أسبانية الذين تمكنوا من توحيد الدولة في البلاد الأسبانية قد استولوا على زمام الأمور بيد من حديد، تحمل السيف والإنجيل بآن واحد، أصبحوا يطمعون في سيادة الدنيا، ويلقون بأنظار الجشع والطمع على القارة الأوروبية والأفريقية ، كما ألقوها من قبل على القارة الأمريكية

وأصبح ملوك أسبانية يضربون شمالا وجنوبا وغربا، الضربات القاسية الفتاكة، فذاقت منهم أوروبة الأمرين، فهذا المد الاستعماري الجشع، كان من جملة الأسباب التي ألقت بهم على شواطئ أفريقية، وقد ساعدهم على ذلك ما كانوا يعلمونه من حالة التفكك الانحلال التي أصابت الشمال الأفريقي[66].

كانت الجزائر "المغرب الأوسط" تتمتع بموقع استراتيجي هام، فهي تطل على البحر المتوسط من جهة الشمال، وتتمتع بساحل طويل، هو أطول سواحل الدول المغربية على المتوسط، وأكثرها تمتعا بالثغور الصالحة للتجارة، ثم أن دواخل الجزائر تضرب بعيدا في القارة الأفريقية، حتى تصل إلى منطقة الصحراء الكبرى وما يليها من أقطار غرب أفريقية، حيث قامت في العصور الوسطى تجارة رائجة من الذهب والعبيد والعاج[67]، تحتضنها من جهتي الشرق والغرب دول المغرب، مما جعلها همزة وصل بين القارتين الأفريقية والأوروبية وقلب المغرب الكبير، وقد سمحت لها حدودها المشتركة مع عدد من الدول الأفريقية، بأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات[68].

هذا بالإضافة إلى وجهة نظر الأسبان التي تتلخص بأنهم لم يستطيعوا التخلص من احتلال العرب المسلمين لبلادهم إلا بعد كفاح قاس عنيف، دام ثمانية قرون، ومهما أطنبنا في ذكر مزايا الفتح الإسلامي، فإنه كان في نظر الوطنيين الأسبان، وخاصة الأمراء ورجال الدين، عهد احتلال أجنبي بغيض، جعل الدخيل حاكماً، وراية الإسلام مرفوعة، وراية المسيحية منكسة، فالأسبان وقد ثملوا بخمرة النصر، كانوا يخشون قبل كل شيء ردة الفعل الأفريقي، وكانوا يخافون أن يعيد عليهم المسلمون الكرّة من جديد فالقاعدة الحربية التي تتبع باستمرار في هذه الحالة، هي حمل الحرب إلى أرض العدو، ووضعه في وضع المدافع عن عقر داره، حتى لا يفكر في مهاجمته[69].

هذا بالإضافة إلى تخوفهم من بروز الدولة العثمانية، وأنهم إذا لم يسبقوها، فإنها ستشكل خطراً في البحر المتوسط، ليس على شمال أفريقية فحسب، بل على أسبانية نفسها[70].

3-دوافع اقتصادية :

ساعد موقع كل من أسبانية والبرتغال، على توجيه أنظار هذه الدول إلى السواحل الأفريقية واستكشاف ما وراء المحيط الأطلسي [71]. وكانت أسبانية والبرتغال تهدفان للسيطرة على مناطق إنتاج المواد الخام ومناطق الاستغلال

---

[65] يحيى، جلال، تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص65.

[66] المدني، مرجع سابق، ص86.

[67] عبد الكريم، مرجع سابق، ص285.

[68] دغموش، مرجع سابق، ص16.

[69] المدني، مرجع سابق، ص83-85.

[70] المرجع نفسه، ص87.

[71] يحيى، مرجع سابق، ص63.

التجاري، وانتزاع التجارة الأفريقية وتجارة الشرق الأقصى من أيدي العرب والمسلمين مما حتّم الاصطدام بين الطرفين، على طول السواحل الأفريقية، وعند مناطق إنتاج المواد الخام نفسها في الهند والشرق الأوسط، فوقعت معارك بين البرتغاليين والاسبانيين وبين أقرب القوى العربية والإسلامية إليهما، أي مع إمارات المغرب الإسلامي، نتيجة لقرب هذه الإمارات من شبه الجزيرة الأيبيرية، وارتباط المعركة بمسألة طرد الموريسكوس من الأندلس، وعملية الصراع بين الهلال والصليب[72].

وكانت سياسة أسبانية تهدف إلى تأمين طريق بحري آمن بين اشبيلية وصقلية الغنية بالحبوب، وكان لابد لها لتحقيق ذلك من نقاط ارتكاز على سواحل شمال أفريقية، خاصة وأن شمال أفريقية كانت محطة هامة للتجار القادمين من جنوة والبندقية، لذلك احتلوا أغلب التحصينات الموجودة على ساحل شمالي افريقية لتأمين طريق بحري يرتكز على الساحل ويمتد من مدينة اشبيلية الأسبانية إلى صقلية، بهدف حماية طرق مواصلاتهم مع صقلية التي كانت تزودهم بالحبوب[73].

وهكذا اندفع الأسبان إلى احتلال قواعد لهم في الشمال الأفريقي للاقتراب من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وامتلاك الموانئ والأسواق فيه لاحتكار تجارة المعادن النفيسة والتوابل التي ترد إليها عن طريق القوافل البرية أو عن طريق البحر الأحمر من جنوب آسية، ولمزاحمة البندقيين والجنويين الذين استغلوا أسواق الشرق الأدنى مدة طويلة واحتكروا أسواق أوروبة ببضائع الشرق[74] كما أن المغرب العربي، وخاصة المغرب الأوسط، يشكل صلة الوصل براً بأفريقية الوسطى، وقد شاع يومئذ أنها بلاد التبر وأن خيراتها لا تنضب[75].

كما أن التمكن من احتلال شمال أفريقية، يجعل الحوض الغربي من البحر المتوسط بحراً أسبانياً بحتاً، خاصة وأن أسبانية كانت تملك الساحل الجنوبي الغربي من إيطالية، وتملك كل الجزر التي به، صقلية وسردينية وكورسيكا والبليار، فهي بذلك تستطيع تشكيل وحدة اقتصادية قوامها الاتصال المباشر بين شمال البحر المتوسط وجنوبه في الحوض الغربي منه[76].

إن القضاء على دولة الأندلس الإسلامية، وانهيار النظامين الاجتماعي والاقتصادي الإسلاميين في أسبانية، وطرد المسلمين، وكانوا دعامة الاقتصاد، كل ذلك وضع أسبانية أمام مشاكل اقتصادية كبيرة، فتعطل الإنتاج وانعدمت التجارة، وكان اكتساح المغرب، وخاصة المغرب الأوسط، وإخضاعه للحكم الأسباني، يضع حلا لهذه الأزمة الخانقة، ويتيح لهم التحكم في خيرات المغرب، وإجبار سكان هذه المنطقة على دفع ضرائب لهم وتمويل حروبهم الاستعمارية [77].

---

[72] المرجع نفسه، ص63 وص64.

[73] العقاد، مرجع سابق، ص14/ طقوش، مرجع سابق، ص217/ دكاني، مرجع سابق، ص20.

[74] الباروني، مرجع سابق، ص6 وص7.

[75] المدني، مرجع سابق، ص87وص 88 .

[76]المرجع نفسه، ص89.

[77] بوحوش، مرجع سابق، ص52/ المدني، مرجع سابق، ص87وص 88.

4- القضاء على القرصنة

نشأت القرصنة[78] الإسلامية أول ما نشأت ببلاد الأندلس، بسبب الهجرة الجماعية لمسلمي الأندلس نحو شمال أفريقية، وعلى رأسها المغرب الأوسط "الجزائر"، بعد سقوط اشبيلية في يد الأسبان سنة 1371م، وكانت مدينة المرية[79] مركزها الأكبر، فكان البحارة المسلمون ينطلقون منها، ويجوبون بحار وسواحل الدول المسيحية، وكان ميدان عمل القرصنة يتمركز في البحر المتوسط ومضيق جبل طارق، وكان القراصنة يشاركون في ذلك الصراع الإسلامي - المسيحي، ويتصدون لسفن أسبانية، وسفن حلفائها، بريطانية هولندية وفرنسية وألمانية، التي تمر عبر مضيق جبل طارق متجهة نحو الشرق[80].

ولم يكن نشاط القراصنة المسلمين فعالاً، في هذه الفترة، بالقياس لأمثالهم من الأوروبيين، ويعود ذلك إلى قلة المهارة لديهم في مجال قيادة السفن والملاحة وعمليات الشحن، وعدم خبرتهم في تصليح السفن، يضاف إلى ذلك أن التجارة الأوروبية كانت مزدهرة مقارنة مع التجارة في المغرب، ورغبة الحكام في المغرب على توسيع تجارتهم مع أوروبة[81].

وكانت بعض الموانئ الأوروبية، وبصورة خاصة موانئ صقلية وسردينية وكورسيكا وجزر البليار، معروفة بإيوائها ومساعدتها للنصارى الذين كانوا يعملون بحرية في ميدان النهب، ولا يعترفون بأية سلطة يدينون لها بالولاء، وكان هؤلاء القراصنة يجبون بالقوة من سفن المسيحيين أكثر مما يجبون من سفن المسلمين، وتحتفظ لنا سجلات البندقية وبيزا ومرسيليا والجمهوريات الأوروبية التجارية الأخرى بالكثير من الشكاوي في خصوص أعمال القرصنة الفظيعة[82].

فالقرصنة لم تكن مقصورة على مسلمي شمال أفريقية، كما يحلو للبعض أن يتصوروا، ولكن القرصنة كانت سلاحا لجأ إليه المسلمون وغير المسلمين، فكما كانت السفن الإسلامية تعتدي على سفن الدول الأوروبية، كذلك كانت سلاحا شهره الأوروبيون بعضهم على بعض[83].

بالإضافة إلى وجود الروح الصليبية، فإن هجرة المسلمين من الأندلس إلى موانئ شمال أفريقية، وخاصة المغرب الأوسط، قد زادت من شدة الصراع بين شمال أفريقية الإسلامية وأوروبة المسيحية، فالأسبان بعد القضاء على غرناطة في سنة 1492م، خالفوا شروط التسليم [84] الخاصة باحترام العقيدة الإسلامية، وفضل كثير من المسلمين أن يتركوا ديارهم ويلجأوا إلى الشاطئ المواجه للبحر المتوسط، ومن الطبيعي أن يحمل هؤلاء المهاجرون روح النضال ضد الدول

---

[78] القرصنة: نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية، والغاية منها ضرب اقتصاديات العدو عن طريق بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة إليه، وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن المعادية، وهذه القرصنة ذات نظم وقوانين، فكانت الحكومات تسلم القراصنة أوراقا رسمية، فتكسبهم بذلك صبغة مشروعة، وتجعلهم شبه جنود متطوعين أحرارا يعملون في البحر، وهي تختلف عن لصوص البحر الذين يباشرون مهنتهم باستمرار، بينما القراصنة لا يعملون إلا مدة الحروب. انظر: المدني، مرجع سابق، ص72.

[79] المريّة بالفتح ثم الكسر، مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، كانت هي وبجانة بابي الشرق، منها يركب التجار وتحل مراكبهم، وفيها مرفأ ومرسى للسفن.انظر: معجم البلدان، مصدر سابق، مج 5، ص119.

[80] المدني، مرجع سابق، ص74/ دكاني، مرجع سابق، ص21وص22.

[81] سبنسر، مرجع سابق، ص33وص34.

[82] االمرجع نفسه، ص33.

[83] عبد الكريم، مرجع سابق، ص289 وص290.

[84] لمعرفة المزيد عن شروط تسليم غرناطة. انظر: الزياني، مصدر سابق، ص 184-186.

المسيحية، ولذلك ساهموا بنصيب كبير في تنشيط حركة الجهاد في البحر المتوسط، وفي شن الغارات المفاجئة على ساحل أسبانية والاتصال ببقايا المسلمين هناك وتشجيعهم على الثورة[85]، وكانوا يأسرون من سكان الشواطئ مقابل الفدية بإخوانهم الأسرى لدى الأسبان [86] وبالمقابل كان المسلمون الذين أجبرتهم ظروفهم على البقاء في أسبانية وأجبروا على تغيير دينهم، يتصلون سرا برجال البحر المسلمين، ويمدّونهم بالمعلومات اللازمة ليقوموا بهجماتهم دون أن يتعرّضوا للأخطار، مسببين الرعب لسكان الموانى الأسبانية الذين رفعوا الشكاوى للملكة وأعلنوا أنهم عاجزين عن دفع الضرائب إذ لم يعد بإمكانهم التجارة مع الخارج أو زراعة أراضيهم[87].

بالنسبة للمغرب الأوسط، الجزائر، فان الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد في بداية القرن 16م، وتفاقم الخطر الأسباني والايطالي واحتلالهما لموانئ جزائرية وفرض الجزية على سكان المدن الساحلية، جعلت الجزائريين يستنجدون بالأخوين عروج وخير الدين[88] لإنقاذهم من الاحتلال الأسباني[89]، كما اتجهت أنظارهم للدولة الإسلامية التي أخذت في ذلك الوقت تظهر وتثبت أقدامها في المشرق الإسلامي وتتطلع للمغرب الإسلامي أيضا وهي الدولة العثمانية[90].

كان القراصنة العثمانيون طلائع الدولة العثمانية على سواحل شمال أفريقية، وقد هيأوا الظروف لاحتلال كل البقاع التي تمتد من الجزائر حتى طرابلس، ويمكننا أن نؤرخ ذلك بنهاية القرن الخامس عشر، بمعنى أنه اعتبارا من نزوح العرب عن الأندلس، بدأ التدخل العثماني في غربي حوض البحر الأبيض المتوسط[91].

وقد استطاع قباطنة البحر المسلمون "القراصنة" الدفاع عن الشمال الإفريقي ضد العدوان الاسباني حتى لاح لهم أن من الخير أن ينضمّوا تحت لواء السلطنة العثمانية، وأن يضمّوا قواتهم إلى قواتها، وأن يعملوا باسمها، وتم لهم ما أرادوا وانتهى الأمر باستخلاص هذه البلاد من قبضة الأسبان وحلفائهم فرسان القديس يوحنا في مالطة وغيرهم ضمّها للدولة العثمانية[92].

خاتمة

من خلال هذه الدراسة عن دوافع الاحتلال الاسباني لسواحل المغرب الأوسط " الجزائر" تم التوصل إلى النتائج التالية:

1- كانت أسبانية تعيش أزهى عصورها ، فقد وحّد الزواج بين فرديناند الثاني ملك أراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة سنة 1469م، أسبانية المسيحية تحت تاج واحد، وأصبحت قوة أوروبية عظمى في البر والبحر، استطاعت القيام

[85] العقاد، مرجع سابق، ص15.

[86] حتاملة، محمد عبده، التنصير القصري لمسلمي الأندلس، مرجع سابق، ص 106.

[87] فارس، مرجع سابق، ص17وص18/ نمير، مرجع سابق، ص36.

[88] الأخوان خير الدين وعروج مسيحيان من إحدى جزر بحر إيجة، يعملان بالقرصنة البحرية، ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي في تونس، كانا يعترضان السفن المسيحية، وقد أرسلا للسلطان سليم إحدى السفن التي أسروها فقبلها منهما، وأجزل لهما العطاء، فقويت نفسيهما، وعندما جاء السلطان سليم إلى مصر أرسلا له رسولا يعلن له خضوعهما للدولة العثماني. انظر: شاكر، مرجع سابق، ج8، ص104.

[89] بوحوش، مرجع سابق، ص51 وص52.

[90] الجمل، مرجع سابق، ص85.

[91] روسّي، مرجع سابق، ص 186

[92] عبد الكريم، مرجع سابق، ص289 وص290.

بإنجازين كبيرين: أولهما القضاء على مملكة غرناطة، آخر معقل من معاقل المسلمين في الأندلس، وثانيهما القيام بالكشوف الجغرافية.

2-تركّز التدخل الإسباني في المغربين الأوسط والأدنى، وذلك بعد معاهدة تور دسيلاس التي عقدت سنة 1494م بين أسبانية والبرتغال برعاية البابا، لحل المشكلات التي كادت تؤدي إلى الاصطدام بين الدولتين في ميدان الكشوف الجغرافية، وبدأ الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط باحتلال ميناء المرسى الكبير، وسيطرت على الساحل مابين بجاية شرقا ووهران غربا، وهكذا تمكن الأسبان من إنشاء محطات عسكرية على طول الساحل الشمالي للمغرب الأوسط.

3-بالمقابل كان المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة يعاني من الضعف منذ القرن الثالث عشر، عندما اضمحلت دولة الموحدين، وحلت محلها بالتدريج ثلاث دول: دولة الحفصيين في تونس وبني عبد الواد في المغرب الأوسط" وبنو مرين في المغرب الأقصى، متنافسة فيما بينها، وقد أنهكتها الحروب الداخلية، واستنزفت طاقاتها النزاعات الداخلية، والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة، بحيث أصبحت المدن الساحلية تكوّن جمهوريات مستقلة أشبه بالجمهوريات القائمة على الساحل المواجه في إيطالية للمغرب الأوسط.

4-استمرار للصراع الإسلامي ـ المسيحي، فموجة الحروب الصليبية التي هدأت وطأتها في الشرق بدأت تظهر آثارها بالمغرب بعنف وإصرار لا يقلان عما كانت عليه في أوج قوتها في الشرق، فالحملات الأسبانية في الشمال الأفريقي، هي جزء من الخطة الصليبية العامة لتطويق بلاد الإسلام وانتزاع الأراضي المسيحية المقدسة في فلسطين، واستمرار لحروب الاسترداد، كما كانت تهدف للتبشير بالدين المسيحي، ومحاولة نشره في البلدان التي يضع الأسبان عليها أيديهم.

5- كانت الجزائر"المغرب الأوسط" تتمتع بموقع استراتيجي هام، فهي تطل على البحر المتوسط من جهة الشمال، وتتمتع بساحل طويل عليه، وتحتضنها من جهتي الشرق والغرب بقية دول المغرب، مما جعلها همزة وصل بين القارتين الأفريقية والأوروبية وقلب المغرب الكبير، وقد سمحت لها حدودها المشتركة مع عدد من الدول الأفريقية، بأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات .

6- كما أن التمكن من احتلال شمال أفريقية، يجعل الحوض الغربي من البحر المتوسط بحراً أسبانياً بحتاً، خاصة وأن أسبانية كانت تملك الساحل الجنوبي الغربي من إيطالية، وتملك كل الجزر التي به، صقلية وسردينية وكورسيكا والبليار، فهي بذلك تستطيع تشكيل وحدة اقتصادية قوامها الاتصال المباشر بين شمال البحر المتوسط وجنوبه في الحوض الغربي منه .

7-القرصنة لم تكن مقصورة على المسلمين في شمال أفريقية، بل كانت سلاحا لجأ إليه المسلمون وغيرهم، إلا أنها اشتدّت بسبب هجرة المسلمين المطرودين من الأندلس نتيجة الاضطهاد الديني، وهي في عرف المسلمين جهاد في سبيل الله يهدف لإنقاذ المسلمين الذين بقوا في الأندلس، وقد استطاع قراصنة البحر المسلمون الدفاع عن المغرب الأوسط ضد العدوان الاسباني، واستطاعوا تحريره وضمه للسيطرة العثمانية.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية

- الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم *البلدان*. دار صادر، بيروت، 1977.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، *الروض المعطار في خبر الأقطار* ، تحقيق إحسان عباس، ط 2، مطبعة لبنان، بيروت، 1984، ص 745.
- الزياتي، ابن الوزان. *وصف أفريقية، ترجمة عبد الرحمن حميدة*. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص675.
- الزياني، محمد بن يوسف، *دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران* ، تحقيق مهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013
- فريد بك المحامي، محمد. *تاريخ الدولة العلية العثمانية* . تحقيق إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص830.
- المزاري، الآغا بن عودة. *طلوع سعد السعود في أخبار هران الجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر*. تحقيق يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص504.
- مقديش، محمود. *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار* . تحقيق على الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص635.

ثانيا: المراجع العربية

- الباروني، عمر محمد. *الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس* . مطبعة ماجي، طرابلس، 1952، ص145.
- بشتاوي، عادل سعيد. *الأندلسيون المواركة*. انترناشيونال برس، القاهرة، 1983، ص329.
- بلغيث، عبد القادر. *الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني* . جامعة وهران، 2014، ص194.
- بوحوش، عمار. *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص624.
- الجمل، شوقي عطا الله. *المغرب العربي الكبير في العصر الحديث* . مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1977، ص532.
- حتاملة، محمد عبده. التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474–1516) . ط1، الجامعة الأردنية، عمان، 1980، ص180.
- حتاملة، محمد عبده، *موسوعة الديار الأندلسية*، الجامعة الأردنية، عمان، 1999، ج1، ص638.
- حومد، أسعد، *محنة العرب في الأندلس* . ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص471.
- دغموش، كاملية. *قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509–1792)*. جامعة وهران، 2013–2014، ص200.
- دكاني، نجيب، *الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية*، جامعة الجزائر، 2002.
- شاكر، محمود. *التاريخ الإسلامي*. ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000 ، ج8، ص 576.

- الشناوي، عبد العزيز: *الدولة العثمانية- دولة إسلامية مفترى عليها* ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1980،ج1.
- الشيخ، رأفت. *تاريخ العرب الحديث*،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.1994، ص403.
- طقوش، سهيل. *تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة* . ط3، دار النفائس، بيروت، 2012، ص623.
- عبد الكريم، أحمد عزت، *دراسات في تاريخ العرب الحديث*، دار النهضة العربية، بيروت،1970.
- العقاد، صلاح، *المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر*، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية،1993.
- عمر، عبد العزيز عمر، التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2000، القسم الأول، ص378.
- عنان، محمد عبد الله، *دولة الإسلام في الأندلس*، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.
- غلاب، عبد الكريم. *قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي* . دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ج2، ص383.
- فارس، محمد خير. *تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي*. د.م، د.ت
- محمود، سيد محمد السيد. *الدولة العثمانية:النشأة والازدهار*. مكتبة الآداب،القاهرة، 2007، ص463.
- المدني، أحمد توفيق. *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانية 1492-1792*. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت،
- مصطفى، شاكر. *الأندلس في التاريخ*. منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص168.
- الميلي، مبارك بن محمد الهلالي. *تاريخ الجزائر في القديم الحديث* . مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج3، ص333.
- نمير، عقيل لطف الله، *تاريخ الجزائر الحديث*، منشورات جامعة دمشق، 2013-2014 .
- الوذيناني، خلف بن دبلان بن خضر. *الفتح العثماني لجزيرة رودس 929هـ/1523م*. جامعة أم القرى، 1418، ص133.
- يحيى، جلال. *تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر*. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص511.

ثالثا: المراجع المترجمة

- أوزتونا ، يلماز. *تاريخ الدولة العثمانية* . ترجمة عدنان سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988، ج1، ص680.
- إيفانوف، نيقولاي. *الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574*. ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت 1988، ص315.
- اينالجيك، خليل . *تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار* . ترجمة محمد الأرناؤوط ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2002، ص376.
- بوزورث، كليفورد، *الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي* ، ترجمة حسين علي اللبودي، ط 2، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1995، ص291.

- روسّي، إتّوري. *ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911*. ترجمة خليفة محمد التليسي، ط 2، الدار العربية للكتاب، 1991، ص579.

- سبنسر، وليم. *الجزائر في عهد رياس البحر* . ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007. ص238.

- شوفالييه، كورين. *الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541*. ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص123.

- فيرد، شارل . *الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي* . ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط3،منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، 1994، ص583.

- فيشر، هربرت. *أصول التاريخ الأوروبي الحديث* . ترجمة زينب عصمت راشد، ط 3، دار المعارف بمصر، 2001

- كولان، ج.س. *الأندلس*. ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1980، ص202.

- الوزان الفاسي، الحسن بن محمد، *وصف أفريقية*. ترجمة محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص339.

رابعا: المراجع الأجنبية

- SHAW, S . *History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey* . Cambridge University Press , 1997.

- https :// ar. Wikipedia . org/wiki/

- https:/www.marefa.org